**\*ظاهرة الإعراب:**

اللّغات قسمان: فثمّة لغات مبنيّة، وثـمّة لغات معربة. وأكثر اللّغات في العصر الـحديث مبنيّة، مثل: الانكليزيّة، والفرنسيّة، والتّركيّة، والفارسيّة.

أمّا اللّغة العربيّة فهي لغة مُعْرَبَة، وتُعَدّ ظاهرة الإعراب مِن أبرز الظّواهر فيها، فقد ورثت العربيّة الإعراب مِن اللّغة السّاميّة الأُم، وقد كانت اللّغات السّاميّة القديـمة كلّها مُعْرَبَة، وأشار الـمستشرق الألـمانيّ نولدكه إلى أنّ النَّبط كانوا يستعملون الضَّمَّة في حالة الرَّفع، والفتحة في حالة النَّصب، والكسرة في حالة الـجرِّ. وتدلّ النّصوص في اللّغة الأكديّة -وتشمل اللّغتين البابليّة والآشوريّة- على وجود الإعراب فيها كاملًا. وذُكِر أنَّ قانون حـمورابي (1792-1750) قبل الـميلاد الـمدوّن بالبابليّة القديـمة فيه الإعراب كما هو في اللّغة العربيّة الفصحى، فالفاعل مرفوع، والـمفعول منصوب، وعلامة الرّفع الضَّمَّة، وعلامة النَّصب الفتحة، وعلامة الـجرّ الكسرة، كما في العربـيّة. ولايقتصر الأمر على ذلك بل إنّ الـمثنّى والـجمع الـمذكّر يـماثلان في الإعراب الـمثنّى والـجمع في العربيّة، فيرفع الـمثنّى بالألف، وينصب ويـجرّ بالياء، وأمّا الـجمع الـمذكر فإنّه يرفع بالواو، وينصب ويُـجرّ بالياء.

خلاصة القول أنّ اللّغة العربيّة لـم تبتدع الإعراب إنّـما ورثته من اللّغة السّاميّة الأُم، وبـمرور الزَّمن بدأت اللّغات السّاميّة الأُخرى تفقد الإعراب شيئًا فشيئًا سوى العربيّة التي احتفظت بـهذه الـخصيصة إلى وقتنا الـحاضر.

وكان النّحاة العرب قد حاولوا البحث في الإعراب، والغرض منه، وهل له هدف مـحدّد؟

معنى الإعراب لغة: الإِبانة عمَّا في النَّفس، وهو مصدر الفعل (أَعْرَبَ)، ومعنى (أَعْرَبَ): أَبان، يقال: أَعْرَبَ الرَّجل عن حاجته، أي، أَبان عنها. فالإعراب -من حيث اللَّغة-: الإبانة وتوضيح الكلام، وهذا الـمعنى اللّغوي للإعراب هو الأصل لـمعنى الإعراب في النَّحو، "فالإعراب هو: الإبانة عن الـمعاني بالألفاظ. أَلَا ترى أنَّك إذا سَـمِعت: (أَكْرَمَ سعيدٌ أَباه)، و(شَكَرَ سعيدًا أبوه) عَلِمْتَ برفع أحدهـما ونصب الآخر الفاعلَ مِن الـمفعول، ولو كان الكلام شَرْجـًا واحدًا[[1]](#footnote-1) لاسْتَبْهَم أحدهـما مِن صاحبه".

فإذا جاء الكلام غفلًا مِن الإعراب سيلتبس الأمر على السّامع، فلا يعرف الفاعل من الـمفعول، وإذا قلنا –مثلًا-: (ما أَحْسَن زيد) غفلًا مِن الإعراب سيلتبس النَّفي، والتَّعجّب، والاستفهام، ولن يعرف السّامع إلى أيّ الأُمور رمى القائل. لكنَّنا بالإعراب نقف على الـمعنى الـمراد:

فجملة (ما أَحْسَنَ زيدٌ) تفيد أنَّ زيدًا لـم يُـحسن في عمل من الأعمال، وهذا ظاهر مِن النَّفي.

وجـملة (ما أَحْسَنَ زيدًا !) فيها دلالة واضحة على التّعجّب، وهذا لـمسناه من الإعراب.

وجـملة (ما أَحْسَنُ زيدٍ ؟) تُنْبِئ من خلال حركاتـها الإعرابـيّة عن أنّ الـمتكلِّم أراد أنْ يستفهم عن أَحسن أجزاء زيد.

وقل مثل ذلك عن جـملة (مَنْ أَسعد النّاس) فهي بغير الـحركات الإعرابيـّة على الدّال من (أَسعد)، والسّين من (النّاس) لاتنبئ عن الـمراد؛ لأنّـها مـمكن أنْ تكون سؤالًا عن الشَّخص الذي أَسْعَدَ النَّاسَ، إذا ضُبِطَتْ على ما يأتي: (مَنْ أَسْعَدَ النـَّاسَ؟). ومن الـمـمكن أيضًا أنْ تكون سؤالًا عن الشَّخص الذي يكون من هؤلاء النّاس أَسْعَدَ مِن غيره.

فالإعراب إذن هو الـحركات الـمُبَيّنة لـمعاني كلّ جـملة في اللّغة، وقد جيء بالإعراب للفرق بين الـمعاني، "فإذا أخبرنا عن الاسم بـمعنى مِن الـمعاني الـمفيدة احتيج إلى الإعراب؛ ليدلّ على ذلك الـمعنى، والـحركات تُنْبِئ عن هذه الـمعاني، فحين قالوا: (ضَرَبَ زيدٌ عَمْرًا) دلُّوا برفع (زيدٌ) على أنّ الفعل له، ودلُّوا بنصب (عمرًا) على أنّ الفعل واقع به"

هذا هو قول جـميع النّحويّين إلَّا قُطْرُبًا -المتوفّى سنة206أوبعد210- فإنّه عاب عليهم هذا الاعتلال، وقال لـم يُعرب الكلام للدّلالة على الـمعاني والفرق بينها، وإنّـما أَعْرَبَت العرب كلامها؛ لأنَّ الاسم في حال الوقف يلزمه السّكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسُّكون أيضًا، لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، فكانوا يُبْطِئون عند الإدراج، فلمَّا وصلوا، وأمكنهم التَّحريك، جعلنا التَّحريك معاقبًا للإسكان؛ ليعتدلّ الكلام"، أي إنّ الغاية مِن الإعراب هو الـخِفَّة عند درج الكلام، وعليه فإنّ الـحركات على رأي قطرب جِيء بـها للسُّرعة في الكلام، والتَّخلّص من التقاء السّاكنين.

والـحقّ أنّ كون الإعراب عَلَمًا على الـمعاني هو الرّأي الـمقبول الواضح البيّن، إذ لو كانت الغاية منه الـخِفّة عند درج الكلام ما التزمته العرب هذا الالتزام، ومن أوضح الأُمور على هذا أنّه لو قرأَ أحد قوله تعالى: ((...أَنَّ اللهَ بريءٌ مِن الـمشركين ورسولُهُ))[التّوبة3] بـجرّ (رسولُهُ) لاختلّ الـمعنى وفسد، وقيل: إنَّ حادثة كهذه هي التي أدّت إلى وضع النَّحو، وقيل: إنّ أعرابـيًّا مرَّ فسمع مؤذنًا (أشهد أنَّ مـحمّدًا رسولَ اللهِ) بنصب (رسول) فصاح به: ويـحك، ماذا يصنع؟

ثـمّ إنّ أوّل حكايات ظهور اللّحن في زمن أبي الأسود الدُّؤليّ تدلّ على أنّ الإعراب له أثر في الـمعنى، ولا ينكر أحد أنّ قوله تعالى: ((إنّـما يـخشى اللهَ من عبادِهِ العلماءُ)) لو أبدلتَ فيه حركة (اللهَ) إلى الرّفع، وحركة (العلماءُ) إلى النَّصب لاختلّ الـمعنى وتغيّر إلى العكس تـمامًا. وأنّ جـملة (أكرم النّاس أحـمد) إذا كانت غفلًا من الـحركات الإعرابيّة احتملت معاني عدة، فإنْ شُكِّلَتْ نَصَّت على معنى واحد:

أَكْرَمَ النَّاسُ أَحـمدَ

أَكْرَمَ النَّاسَ أَحـمدُ

أَكْرِمِ النّاسَ أَحـمدُ

أَكْرَمُ النَّاسِ أَحـمدُ

وجـماع القول أنّ جـميع النّحاة القدامى عدا قطربًا يُقِرُّون بعلاقة الإعراب بالـمعنى ودلالته عليه، فهم يرون أنّ الـحركات الإعرابيّة تدلّ على الـمعاني الـمختلفة مِن فاعليّة، ومفعوليّة، وإضافة، وغيرها. وقد أشار أبو القاسم الزّجّاجيّ -المتوفّى سنة 337- للهجرة في كتابه (الإيضاح في علل النّحو) إلى "أنّ الأسـماء لـمّا كانت تَعْتَورها الـمعاني فتكون فاعلة، ومفعولة، ومضافة، ومضافًا إليها، ولـم تكن في صورها وأبنيتها أدلّة على هذه الـمعاني بل كانت مشتركة جُعِلَت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه الـمعاني، فقالوا: (ضرب زيدٌ عمرًا)، فدلُّوا برفع (زيد) على أنّ الفعل له، وبنصب (عمرو) على (أنّ) الفعل واقع به، وقالوا: (ضُرِبَ زيدٌ)، فدلّوا بتغير أوّل الفعل، ورفع (زيد) على أنّ الفعل ما لـم يُسَمّ فاعله، وأنّ الـمفعول قد ناب منابه. وقالوا (هذا غلامُ زيدٍ)، فدلّوا بـخفض (زيد) على إضافة الغلام إليه. وكذلك سائر الـمعاني جعلوا هذه الـحركات دلائل عليها؛ ليتّسعوا في كلامهم، ويقدّموا الفاعل إنْ أرادوا ذلك، أو الـمفعول عند الـحاجة إلى تقديـمه، وتكون الـحركات دالّة على الـمعاني".

1. نَضْدًا واحدًا،كتركيب اللَّبِنَة جنب الأُخرى، فكلّ واحدة تُشْبِه أُختها. [↑](#footnote-ref-1)